واقع الفن في لبنان

بقلم موريس كامل

جذور الفن ، في لبنان ، متأصلة في اعماق التاريخ . واقدم الشواهد على قدمه ، رسوم وصور ونقوش محفوظة في اقبية الاديرة التاريخية ، وعلى جدران الكنائس البيزنطية الطراز .

فالانسان عندنا ، قد حاول ، على مر العصور ، « تجسيد الصور التي ملكت عليه حواسه .. وايجاد دلالة لكل شكل يعانيه » . على ان التاريخ لم يعن بحفظ اسماء الفنانين ، ففي تاريخ « الدويهي » اول اشارة الى اول فنان لبناني دخل متحف التاريخ .

قال الدويهي في تاريخه الكبير [1] : « لما كان تاريخ السنة الـ ١٥٨٧ بنى الخوري انطون من بيت (آل) الجميل كنيسة « مار عبدا » في بكفيا ، وصورها على يد الشدياق الياس الحصروني ... »

والجدير بالذكر ان الياس الحصروني الذي دخل التاريخ من بابه الواسع ، كان حداً بين حقبتين من حقب تاريخ الفن اللبناني : حقبة قافلة الفنانين المجهولين من التاريخ ، وحقبة دجنة وموت عقبت وجوده ... انصرف فيها اللبنانيون عن « التصوير » الى استيراد الصور من عالم الغرب !

***

قرن من الجمود نهض بعده اللبنانيون الى تناول الريشة ، بعرف التاريخ . ففي تاريخ الدويهي نفسه اسماء القافلة الجديدة من المصورين الفطريين [2] ، وفي تاريخ الاب لويس بليبل اسماء اخرى (الآباء : نستير طرابلسي ، بطرس القبرصي ، نستير مدلج قيتولي ، اسطفان الديراني ، شربل الديراني) دخلت التاريخ من غير ان يحفظ آثارها التاريخ !

وهنا تجدر الاشارة الى ان الآثار الباقية ، (من فناني القرن الثامن عشر الاخر المجهولين) ، في اديرة « الجرد » وكنائس الجبل لاتهم التاريخ من الناحية الفنية بسبب بدائيتها وسذاجتها . وقيمة تلك الآثار ، في حال تقييمها ، تنحصر في دلالتها .. « في كشفها عن دورها الرمزي في الحياة الدينية » . انها « افعال ايمان وامل .. ايمان المؤمن بالوهية المسيح وامله بالبعث » .

تمثال مارون عبود – لحليم الحاج

الى هنا لا جديد في تاريخ الفن الباقي على الزمن : اسماء من غير آثار خالدة .. ومن غير دراسة عن هذه الآثار .

واول فنان جدير بدخول متحف التاريخ ، من بابه الضيق ، هو الاخ « نعمة الله معادي » . فان ابرز ما يمتاز به هذا الفنان هو تحصيله الفن الاصولي في مراسم بلجيكا .. وبالتالي شقه الطريق لحركة فنية جديرة بالبقاء تخرج بالفن اللبناني من دائرة الهواة الفطريين الى آفاق الاساتذة الاصوليين .

كان المعادي رساماً . وكان مثالاً ... اتصفت آثاره بالكلاسيكية المغرقة في الشكلية (يشهد على ذلك تمثال القديس لويس الذي نحته لكنيسة الآباء الكبوشيين ، في باب ادريس) .

وبعد المعادي ، بل في حقبة المعادي ، دخلت تاريخ الفن

---

١ صفحة ١٨١ .

٢ الشماس عبدالله الزاخر (١٦٨٤ – ١٧٤٨) من الرهبانية الشويرية ، والخوري موسى ديب الكسروانى (توفي عام ١٨٢٦) و كنعان ديب .

٣٥

نداء العودة – لوهي

اسماء فنانين[1] من غير آثار تعرف عنهم ، مثلوا الحقبة المترجّحة بين عصر الانحطـاط وعصر الانبعاث. فقد كان دورهم دور «رواد» عصر الانبعاث الذي برز فيه فنانون كبار امثال داود القرم ، وحبيب سرور ، وخليل الصليبي ، ورئيف شدودي ، وشكري المصور ، وعلي جمال البيروتي ، وفيليب موراني .

ومرحلة الانبعاث هي ، في عرف التاريخ ، وفي عرف كبار الفنانين المعاصرين ، مرحلة كلاسيكية « تميزت بالاصول والدرس ، وحب البحث ، والتأمل في الطبيعة» . هي مرحلة الأخذ عن الغرب .. مرحلة السفـر الى العـواصم الاوروبية ودرس قواعد الرسم الاصولي .. وتفهم اللون و « اثر الظل والضوء » في الجمالية الفنية ، وهي مرحلة الوعي القومي ، في الوقت نفسه . فان آثار فناني عصر الانبعاث الذين درسوا في الغرب هي (الكلام للفنان مصطفى فروخ) « نمـــاذج عن حياتنا البيتية ، وطراز بيوتنا ، ومواطنينا بالبستهم القومية » انها آثار نبعت من صميم الطبيعة اللبنانية بمواضيعها ، والوانها وحساسيتها ، ولا اثر للغرب فيهـــا ، الا بالتقنية وقواعد الرسم الاصولية .

ولغيري – وفي غير هذا المجال – ان يتعمق في درس آثار فناني عصر الانبعاث الراقدين في ظلمة القبور . فالمجـال هنا وقف على البحث في فن المعاصرين الاحياء .

والكلام على فناني القرن العشرين عملية صعبة لاسباب ، منها : « انطواء الفن المعاصر على اتجاهات مختلفـة متصادمة تجعله متمرداً على التحليل النقدي .. وعلى التاريخ »

وهنا ، من حق التاريخ علينا القول ان تاريخ الفن ، على مر التاريخ ، فصل من تاريخ الفكر بشهادة التاريخ . ففي ازمنة النهضة – كل نهضة – يمهد الفكر السبيل لموكب الفن باعتبار رسالته من رسالة الفكر . وفي لبنان، في هذه المرحلة من مراحل النهضة الحديثة ، ادرك اهل الفكر مسؤوليتهم التاريخية في دفع الفن ، في طريق النهضة ، فعقـدوا الفصول الفنية في المجلات الادبية ، ورادوا مراسم الفنانين ينبشون الآثار الاصلية لايصالها الى قلوب الناس .

.. نشاط فكري اثمر ثمره في الفن اللبناني . اثمر نشاطاً كبيراً يبشر حقاً بنهضة جدية ، من ابرز خصائصها الصراع بين اتباع مدرستين متمايزتين – عرفاً – : مدرسة الشكل التقليدي للتعبير الفني ، ومدرسة انصار المذاهب الحديثة .

صراع يتجلى حاداً عنيفاً في كل معرض عـــام يضم آثار المدرستين .

وللمناسبة تجدر الاشارة الى ان هذا التقسيم مفتعل بعض الشيء – افتعله الفنانون انفسهم – لان المدارس والمذاهب الفنية في لبنان غير محددة المعالم . فالفن الحديث فيـه هو ، عامة ، بحث عن تقنية .. عن اسلوب ! انه فن حائر تتوزع فيه المذاهب والاساليب المتضاربة ، آثار الفنان الفرد في المعرض الفرد . فالفن اللبناني لا يعبر عن استمرار تقنية خاصة ، او طابع خاص ، شأن المدارس الاوروبية ، بل

رأس بدوية – للحويك

١ نجيب فياض (بيروت) ، عبدالله مطر (لحفـد) سليم لحود (عبيه) الاب جرجس الاميوني (اميون) .

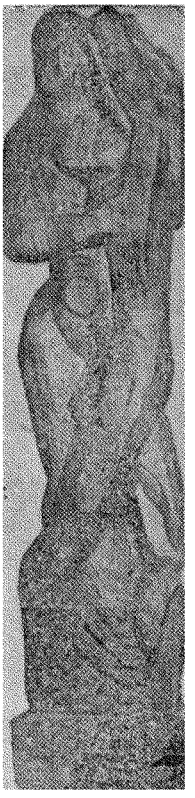

تأليف
ميشال بصبوص

يعبر عن فن متبدل في استمرار . فتأثر هذا الفن – الفن الحديث بالمدارس الاوروبية المختلفة – تأثراً اقرب الى العبودية منه الى شيء آخر – قد نفى عنه طابعه الوطني الذي عرفه ، في عصر الانبعاث ، كما نفى عنه البحث عن الاساليب جوهره الانساني النابع عن تجربة حياتية .

فأبرز ما تتحفل به آثار المعاصرين لوحات تمثل الطبيعة : هنا شجرة ... وهناك طريق .. وهنالك زاوية بيت هادىء ، مشاهد ومناظر لا تكشف ، مع كثرتها ، عن جمال الطبيعة اللبنانية المتنوعة المشاهد حتى الاعجاز . ذلك ان ريشة فناننا لم تستطع ، بعد ، التقاط الاشكال . . والاوضاع . . والجو .. والحياة عامة ، في بيئتها .

وعلى سبيل المقارنة آتي على ذكر المدرسة الهولندية التي كشف اصحابها عن جمال طبيعة بلادهم . ففي لوحاتهم تتمثل السماء الواسعة ، ومساحات المياه الشاسعة . ورائحة الزرائب ! وفي الوانهم الشقراء يتجسد بخار الغيم ، وموج البحر ، ورطوبة التربة الهولندية . بكلمة : تعيش هولندا في فن الهولندية .

اما الشجرة ، عندنا ، والطريق ، وزاوية البيت الهادىء ، فهي شجرة في كل بلد من بلدان العالم ، وطريق في كل بلد من بلدان العالم ، وزاوية بيت في كل بلد من بلدان العالم ، دون ان تكون في الوقت نفسه في بلد من العالم !

هي لوحات خالية من شاعرية الغسق السمنجوني الذهبي المشع في آفاق جبالنا ، ومن ظلال الرهبة في مهاوي اوديتنا العميقة . هي الفن السهل .. فن الميوعة !

هي عند انصار مدرسة الشكل التقليدي فن الشكل والتناسق والدقة الذي يعنى صاحبه اكثر ما يعنى بقوة الرسم وحسن الاخراج دون ان تكون هناك رؤية عميقة .

ومعلوم ان الرسم لا يعني اثبات الشكل فحسب : فهو الكيفية التي يرى بها الفنان الشكل . واللون لا يعني صبغ المساحات فحسب بل التقاط الحياة العميقة في الطبيعة والهيئات . والفن الوطني ليس انتقاء المواضيع المحلية فحسب بل الكشف عن مميزات هذه الطبيعة .

* * *

قلت ان فن المدرسة التقليدية عندنا – اذا صحت التسمية – هو فن الشكل والتناسق والدقة . واضيف : انه فن المائية المصطنعة في اللون – تلك المائية التي ترمي الى التهييج الحسي – التهييج البصري – دون ان يلعب العمل الباطني دوره في تغيير طبيعة هذه التهيجات الحسية ، بجعلها ادراكاً عقلياً ولذة – بهجة – هي لذة الحس الجمالي المصفى من الغرائز الفطرية .

وافراد هذه المدرسة قلة يعنى بعضها بتصوير الهيئات ، لا حباً بهذا اللون من الفن ، بل لان معرفته الاصولية لقواعد الرسم تجعل مرسمه محجة اهل اليسار الذين يعنيهم امر تخليد هيئاتهم في دورهم وقصورهم .

وقوام هذه المدرسة اربعة : مصطفى فروخ ، وقيصر الجميل ، وعمر الانسي ، ورشيد وهبي .

اشتهر مصطفى فروخ بتقيده حتى العبودية بالنموذج ، وتقليده تقليداً آلياً يقترب معه من التصوير الفوتوغرافي لكنه في بعض الحالات يبدع لوحات تمت باسباب الى آثار فناني الغرب الكبار .

امومة – لكراكوسيان

وقيصر الجميل شاعر وجداني يتبع صوت وجدانه في تصوير النساء البورجوازيات الظريفات المدللات . تمسك في فنه انطباعيته التي تكتفي بتسجيل التأثير الذي يفعله الواقع . وفي لوحاته التي تمثل الطبيعة رقة في الريشة ترمي الى الكشف عن طبيعة اغنى لوناً ورواء من الطبيعة الاعتيادية اكثر من الكشف عن معان مجهولة . ففنه

٣٧

هو فن اللعب بالالوان في سبيل المتعة البصرية .

ويبرز عمر الانسي بألوانه المائية مصور الطبيعة الاول ، غير ان الطبيعة في لوحاته لا تخرج عن مشاهد ملونة صافية جميلة تأسر العين . ففي لوحاته البحر ، وفيها السماء ، وفيها الغيوم ، وفيها البيوت ، لكن عمر الانسي ليس فيها .

ولا يتميز رشيد وهبه عن رفاقه من حيث قوة الرسم ، لكنه يقصر عنهم في استخدام اللون .

***

وكلامنا على المدرسة الحديثة كلام آخر . فان اتبـــاع هذه المدرسة يرمون الى الثورة على رخاوة المدرسة التقليدية بالغوص على معاني الاشياء ، دون الشكل . لكن الواقع يدل على ان فنهم — فن اكثرهم — ليس سوى مجرد احساس بلون من الالوان .. او بخط ، لا الاحساس بمعاني الاشياء المصورة .

ان الفن الحديث في الغرب تعبير العقل الباطن عن ذاته . هو فن الثورة على التقاليد ، الثورة على قيود العقل الواعي في سبيل التعبير الصادق والفن الحديث ، عندنا ، عمل « دفاعي » حيناً ، وعمـــل زخرفي ينبع من احساس الفنان بالشكل الحر لا بالمعنى حيناً آخر . فتمثيل الطبيعة عند انصار الفن الحديث يجري في المرسم لا في قلب الطبيعة . ومن هنا فقره بالنسبة الى الطبيعة . ذلك ان روح المنظر الطبيعي — او جماله — يتعلق بالضوء المنسكب في جو الطبيعة وفن المدرسة الحديثة لا يكشف عن معنى جديد في الطبيعة بـل يكدس الالوان والخطوط التي تشكل وحدة زخرفية تنتسب الى الطبيعة .

وتمثيل فن هذه المدرسة للانسان لا يكشف عن احساس انساني ، او موقف الانسان من الحياة ، بل عن مساحات ملونة اتخذت شكل انسان . ولا بد من القول ، في هذا المجـال ، انه ما من فنان واحد من فناني هذه المدرسة — يستطيع ان يصور هيئة بشرية نقلاً عن نموذج بشري معين ..

.. فان افراد هذه المدرسة ، دون تمييز ، يشكون فقراً في اصول الرسم .

***

في الغرب مدارس — او اتجاهات حديثة — اخذت اسم التكعيبية ، والحدسية ، والاشقرية ، والتأثرية ، والدادية ، والسوريالية ، والمستقبلية ، والتعبيرية الخ ..

وفي لبنان « شيء » من هذا دون ان يكون هناك تكعيب او تعبير الخ ..

فان لوحات سعيد عقل التكعيبية — او التي ارادها تكعيبية — ليست من التكعيب في شيء ، بل هي حجة لتوزيع الالوان فحسب . (سعيد عقل فريـد بين الفنانين في تذوق اللون الى ابعد حد) .

عقبة بن نافع — لمصطفى فروخ

ولوحـات شفيق الفقيه التي يريدهـــا سوريالية ولوحـــات عارف الريس التي هي سوريالية بالقوة لا بالفعل ليست من السوريالية في شيء ، لأن الغرابة فيها ليست تعبيراً عن عقل الفنان الباطن او عن خياله بل ستار يخفي وراءه جهله باصول الرسم .

***

ان فننا العصري فوضوية في الخطوط .. وتشويه للاوضاع وتهشيم للتقاطيع والسمات .

هو فن يزعم انه يحاول تصوير معاني الاشياء قبل اشكالها واثبات الرؤى الخاطفة .. والنزول بالفن الى دنيا الاطفال . لكنه في الواقع ينزل بالفن الى مستوى « اللافن » لان العذوبة — عذوبة العمر الطري — ابعد شيء عن لوحاتهم .

وهذا الحكم لا يشمل فناني هذه المدرسة جميعاً ؛ هنـاك جان خليفة الذي يبدو في لوحاته في حرب مع الحظ ، وفي

٣٨

حرب مع اللون ، وفي حرب مع الموضوع ، وفي حرب مع المسطح الى حد الشك في قـــدرة الخط واللون والموضوع والمسطح على التعبير عن القلق العاصف في نفسه .

وميشال المير الذي يحاول ان يعطي في لوحاته صورة عن عالم الكدح – عن المأساة الصغرى (او الكبرى !) في الحياة اليومية – ويبحث جاداً عن الاسلوب الذي يعينه على التعبير عن هذه المأساة ...

والياس ابو رزق الذي يصور الطبيعة بعنف يتجـــلى في التقنية وفي اللون ، لكنه كثيراً ما ينسى اللون المنسكب في الطبيعة اللبنانية ...

ومن البارزين في هذه المدرسة « ترجان » الذي يشتهر بألوانه الجافة واحساسه الفطري – الجاف ايضاً – بالاشياء والناس .

وصونيا هريس ذات الحساسية العميقة ، المغرمة باللون الازرق تهرقه حتى على الاشياء السوداء . فهذا اللون ينبع من صميمها ، لكنه كثيراً ما يتنافر مع الموضوع المصور .

وناظم الايراني – الرسام والمثال – الذي يعنى بالتعبير عن جزء معين من موضوع معين دون الاجزاء الاخرى ، ليبرز فكرة معينة ..

ورفيق شرف – الفنان المعذب – الذي ينزل الى اعمق اعماق الطبقة الفقيرة ليصور آلامها ، فلا يجد غير اللون الاسود للتعبير عن الألم ، فالموضوع عنده يقتله اللون .

وعادل الصغير .. وامين صفير .. وبول كراكوسيان وفريد عواد :

اسماء جديدة في دنيا فن نتركها للوقوف عند ايـــلي كنعان ، الفنان الفردي في حساسيته حتى الجنون . فهـــو رومانطيقي تعيش رومانطيقيته في عزلة الرسم ، تحرر من قيد النموذج الذي يثقل مخيلته وفر الى مناخات غريبـــة ؛ ففنه لا يقوم على نظرية محددة من نظريات الفن الحديثة ، ولا على نظرية من النظريات الاجتماعية ، ولا ينحصر في اتجاه

مشهد طبيعي – لخليفة

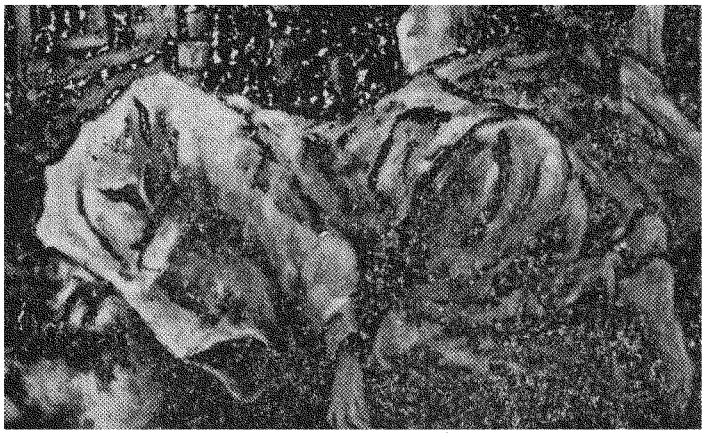

الشريد – لرفيق شرف

معين من اتجاهات عصره ، بل ينبع من قلبه بحرية ، كثيراً ما تثير طبيعة الاشياء في سبيل الشاعرية .

***

والفنان الفرد الذي ادرك سر الضوء المنسكب في جو الطبيعة اللبنانية ، واحس بطابع هذه الطبيعة ، وجسدها على احسن ما يكون التجسيد هو صليبا الدويهي – الفنان الذي يبدأ معه تاريخ الفن الوطني الحديث في لبنان .

***

والنحت في لبنان يبدأ مع « المعـــادي » الذي ذكرنا شيئاً عنه في معرض الكلام عن التصوير . ولم يتح لهذا الفن ان ينهض الا في مطلع القرن الحالي ، فاقترن اسمه باسم الفنان يوسف الحويك (رفيق جبران) الذي امّ رومـــا وباريس . وقد قضى الحويك عشرين عاماً في اوروبا يدرس فن الرسم وفن النحت درساً عميقاً شاملاً ، فاستلهم « ميكل انج ، ودوناتللو ، ورودان » وعكف على الحجر والجص في محترف « بورديل » – استاذه – عكوفاً لم يعرف مثله تاريخ الفن اللبناني . وفي عام ١٩٣٩ « استقر نهائياً في لبنـــان .. وانشأ محترفاً في جنينة الشاعر شارل قوم » انطلقت منـــه شرارة نهضة فن النحت في لبنان .

وفن الحويك « كلاسيكي النزعة شرقي الخيال » يجاري الفن الاوروبي الخالد ، ويتميز (الكلام للمثال حليم الحاج) « بقوة البناء ، واتساق التأليف » ففي وجوهه « حـلم بريء مسموح بالرزانة والوقار » و « براءة في الخطوط وسمـو في المعاني . »

وفي حياة هذا الفنان مأساة افجع من الموت حملتـه على الانزواء في « عورا » – من بلاد البترون – والانكبـاب على صخور الجبل يفجر فيها الحياة . على ان الحياة في تماثيله

انسانية سوداء – الريس

تتسم احياناً بمسحة من الألم العميق ، واحياناً بالبرودة التي تعقب المآسي الكبيرة في حيوات البشر . ولا عجب فان فنه حاصلة المأساة العميقة التي هزت كيانه وتركته حطاماً .

ومن تلاميذ هذا الفنان الكبير حليم الحاج ، الكلاسيكي الآخر الذي قصد روما ، شأن استاذه، ونهل من ينابيع الفن الاصيلة . وابرز ما يتميز به فنه نعومة الازميل وتجسيد الوجوه الاليفة التي نلقاها كل يوم (ولاسيما وجوه الادباء واهل الفكر) . لكن آثاره – مع كلاسيكيتها ودقة صنعها – يعوزها التعبير النفساني الذي يبلورها ويرتفع بها الى مستوى الفن الخالد .

ومن النحاتين الكلاسيكيين بالفطرة ، يوسف غصوب الهاشم الذي فاتته التقنية الاصيلة . وبين الجيل الجديد من يبشر بالخير سواء اتبع الطريقة التقليدية (خيرالله خيرالله) أم الطريقة الحديثة (ناظم الايراني) .

وعلى رأس الهرم تشمخ تماثيل ميشال بصبوص رائد المدرسة الحديثة في فن النحت . فتماثيله « التجريدية » و « المكعبة »[1] سدوف موجعة حلت عليها اللعنة المنصبة على انسانية القرن العشرين فانتصبت في وجه السماء عارية تتحدى السماء .

هذه نظرة في الفن اللبناني المعاصر .

وقد يكون هذا الفن اقرب شيء الى فوضى .. لكن الخير هو في شق الطريق .

والطريق طويل يتكدس فيه الحطام قبل ان يبرز العبقري الذي يثبت معالم « الطريق » .

موريس كامل

١ من صفاتها الحركة والاتساق والتأليف التي تأتلف مع احساس المثال لا مع نماذج الطبيعة .

دار بيروت – للطباعة والنشر

بناية اللعازارية ، تلفون ٣٠٥ بيروت – لبنان

حصاد عام ١٩٥٥

		ق.ل.
١ – **نوادر الجاحظ**	تقديم : جميل جبر	١٠٠
٢ – **قصص المانية**	ترجمة : سهيل ايوب	١٠٠
٣ – **معنى الحرية**	تأليف : انيس القاسم	١٥٠
٤ – **هذه هي الديالكتيكية**	ترجمة : تيسير شيخ الارض	٢٠٠
٥ – **جورج صاند**	ترجمة : بهيج شعبان	٢٠٠
٦ – **اللؤلؤة**	ترجمة : سهيل ايوب	١٥٠
٧ – **عبدالوهاب البياتي**	للدكتور احسان عباس	١٥٠
٨ – **بيتهوفن**	ترجمة : الدكتور علي شلق	١٥٠
٩ – **هذه هي الماسونية**	ترجمة : بهيج شعبان	١٥٠
١٠ – **هيجل**	ترجمة : الدكتور احمد كوى	١٥٠
١١ – **فن القصة**	تأليف : الدكتور نجم	٢٠٠
١٢ – **دوستويفسكي**	ترجمة : بهيج شعبان	٢٠٠
١٣ – **تشايكوفسكي**	ترجمة : الدكتور فؤاد ايوب	١٥٠
١٤ – **بيرون**	ترجمة : بهيج شعبان	٢٠٠
١٥ – **فرنز ليست**	» » »	١٥٠
١٦ – **فن الشعر**	للدكتور احسان عباس	٢٧٥
١٧ – **كورساكوف**	ترجمة : الدكتور فؤاد ايوب	١٥٠
١٨ – **اباريق مهشمة** «طبعة جديدة»	عبد الوهاب البياتي	١٥٠
١٩ – **التنويم المغناطيسي**	ترجمة : بهيج شعبان	٢٠٠
٢٠ – **الادب الهندي**	» » »	١٥٠
٢١ – **الاخوان المسلمون** «طبعة جديدة»	الدكتور حسيني	٣٠٠
٢٢ – **برغسون**	ترجمة : تيسير شيخ الارض	٢٠٠
٢٣ – **ذلك المرض** ..	الدكتور يوسف حبيب – الدكتور ادوار باروكي	١٠٠
٢٤ – **الفن الغنائي عند العرب**	تأليف : نسيب الاختيار	
٤٩ – **لسان العرب ٢٥ جزءاً**	– حرف السين	٣٠٠
٥٣ – **معجم البلدان ٤ اجزاء**		٣٠٠

٤٠